ظاهرة لزوم ما لايلزم عند أبي العلاء المعري : ج١

المحاضرة الثانية : للدراسات العليا

الدكتوراه /الأدب

للعام الدراسي:٢٠٢٣-٢٠٢٤م

الاستاذ الدكتور لؤي صيهود التميمي

أبو العلاء المعري

شاعر ومفكر وفيلسوف (فهو المعري الأعمى ،صاحب التصانيف السائرة ،كان عجبًا في الذكاء المفرط والحافظة ،وهو الذي توافق أفعاله اقواله وأقواله تتطابق مع أفكاره ومعتقداته)فبصر مجتمعه وما يدور حوله ،فجعل شعره صورة لها ولما يجب أن يكون عليه الإنسان والمجتمع ،وقرر أن يجعل من الشعر وسيلة و غاية وسيلة لنقد المجتمع ومحاولة اصلاحه باصلاح العقل ،وغاية ليمتاز به ويخلد ذكره من خلال مخالفة الآخرين والاختلاف عنهم فمال الى الفلسفة والتأثر بالثقافات الأخرى مستعينا باللغة العربية وتمكنه منها وكذلك معرفته باللغات الاخرى فمزج كل ذلك ولونه بالتصنع والتزويق مع شيء من التكلف والغموض ليخلق اللزوميات التي عرف بها حتى اصبحت ظاهرة خاصة بها .

مفهوم لزوم ما لايلزم :وهو أحد طرق التفنن بالألفاظ وهو أن (يعنت الشاعر أو الناظم نفسه في إلتزام حرف أو اكثر قبل حرف الروي وهو يفعله لقوته ولو تركه لم يدخل عليه الضعف) أي هوشكل هندسي قائم على صناعة ذهنية وفي الوقت ذاته هو من الامور العسيرة على الناظم ويحتاج إلى ثقافة واسعة وقدرة على التفنن بالالفاظ لكنه غير ملزم ولو ترك لا يؤثر في

الشعر...وبرهن على هذا في مقدمة ديوانه من خلال شعر كُثير عزة:في قصيدة لزم فيها حرف اللام مع التاء:

خليليَ هذا رسمُ عزّة فاعقِلا ... قلوصيكُما ثمّ ابكيا حيثُ حلتِ

أصابَ الرّدى من كانَ يهوى لكِ الرّدى ... وجنّ اللّواتي قلنَ عزّةُ جلتِ

تلاعب المعري إذ استبدل لفظ جلت ب (جنت)في البيت الثاني وذهب إلى إنه لم يؤثر في القصيدة ولم يسير بها إلى الضعف .

وبعد معرفتنا بمفهوم اللزوميات، وشهرة المعري بها ،يخطر لنا سؤال وهو :هل المعري أول من طرق بابها ؟وإذا كان الجواب ب(لا) إذن لِمَ لمْ تصبح ظاهرة عندهم؟

ظاهرة اللزوميات كانت موجودة عند الشعراء منذ العصر الجاهلي عند الاعشى والنابغة وطرفة بن العبد وفي العصر العباسي عندابن الرومي وابي نواس وابن تمام وغيرهم،فهذا أبي تمام يقول:

خدم العلا فخدمنه وهي التي لا تخدم الاقوام مالم تخدم

فإذا ارتقى في قلة من سؤدد قالت له الاخرى بلغت تقدم

نعم وجدت عند غيره ؛لكنها لم يشكل ظاهرة ولم يقصدوا إليه ،فهي متناثرة في دواوينهم، ولم تبلغ من القوة ما بلغت عند المعري ،الذي أوقف لها

ديوانا كاملا بين مقطوعات وقصائد قصيرة وطويلة اختلف فيها عن سابقيه بعدة أمور منها :

١ـعدد الحروف الملتزمة إلى جانب حرف الروي

٢ـاللزوم لديهم غالبا مايكون ضعيف إذ يلتزمون الحرف مع تاء التأنيث أو كاف الاضمار وهما ضعيفتان أو مع حروف الهمس أو حرف الهاء وهي شبيه بحروف اللين لخفائها (الا في النادر).

٣ـالقضايا التي عالجتها قضايا عقلية وقضايا فلسفية ميتافيزيقا ،أما سابقيه فقد تحدثوا عن قضايا وجدانية.

٤ـيتراوح حجم الزوميات عند المعري بين مقطوعات وقصائدة قصيرة وبعضها تكون قصائد طويلة أما عند سابقيه فهي مقطوعات قصيرة او جزء من قصيدة.ولم يكن هذا التناوب بين القصائد في الطول والقصر عند مسألة اعتباطية بل وظفها على وفق فكرة النص المنظوم وأثر هذه الفكرة في نفسه ،ففي المقطوعات والقصائد القصيرة يتحدث عن موضوعات يسودها التشاؤم والذكريات البائسة ونقد ضعف العقل وفساد الاخلاق ،ومنه قوله(على سبيل المثال):

كأنّ قلوب القوم منا جنادلٌ فليسَ لها عند الأمورِ حصاة

إذا ماادعوا لله خوفا وطاعة فلا ريب أن المدعين عصاة

وأوصاهم أهل الأمانة والتقى فما حفظت بعد المغيب وصاة.

أما في القصائد الطوال يتحدث عن موضوعات تكون فيها نفحة من الامل ك (تمجيد الله ،التحدث عن الدين وما يتصل به ، الحرية ،والموت "الذي يعده راحة خالدة"، وعندما يدعوا الى اصلاح العقل، وعندما يتفاضل بينه وبين ابناء قومه) ومنه قوله في قصيدة طويلة :

يا مرحبا الموتِ من منتظرٍ إن كان ثم تعارف وتلاق

ساعاتنا تحت النفوس نجائب وخدت بهنّ بعيدة الاطلاق

ألق الحياة إلى الممات مجردا إن الحياة كثيرة الاغلاق

واحيانا يخلط بين الأمرين عندما يمجد الرب يتشائم ويتمذر من ابناء جلدته وينقد انصراف الى اللهو ويحاول اصلاحهم ...

وهو في كل مما سبق خالفهم وكسر المألوف في عدة أمور ومنها الاغراض التقليدية والخطاب الوجداني ،وذهب الى الخطاب العقلاني وتمجيد الرب ونقد المجتمع والدعوة إلى اصلاحه من خلال اصلح العقل وتطوير فاعليته ومهاراته في التفكير... وعرض كل هذا بصورة فنية دقيقة واطارا هندسيا

لفظيا .وهذا ما جعله يخرج بالشعر من دائرة الضيقة الى دائرة أوسع تشمل الإنسان والكون والطبيعة ونقله من الخطاب الوجداني الى الخطاب العقلي الفلسفي القائم على البراهين و الادلة مستعينا بأقوال الحكماء والفلاسفة.